

# حزبنا العدد الماضي من «الأراج»

## الأبحاث

بقلم جلال السيد

\*\*\*

من أبناء الشعب العربي الثائر ، ولذلك يجب أن يكون في المقدمة ، في مواجهة العدو ، نسي ما تعلمه في الكليات العسكرية ، ولم يتذكر سوى انه ثائر عربي يدافع عن أرضه وكرامته ، ووضع باستشهاده قانونا جديدا امام القوات العسكرية التي تدافع عن أرضها ، أن القائد الذي يريد النصر ، عليه ان يكون في مقدمة جنوده ، وان يكون المثال والقنطرة ، قانون جديد وضعه استشهاد عبد المنعم رياض أمام الكليات العسكرية ليعيدوا النظر في موقع القائد ، ولم تكن الجماهير العربية بعيدة عن احساسه وانفعالاته بل احتضنته شهيدا بطلا ، ثائرا ، وكان استفتاء شعبيا لاختياره الحر ، وكان دلالة شعبية من كل قائد وجندي يسلك طريقه ، طريق الجماهير المصممة على تحرير أرضها ، مهما كان الثمن .

وتحت عنوان « شهادة جديدة » كتب الدكتور سهيل ادريس افتتاحية العدد الماضي ، حول استشهاد عبد المنعم رياض ، وفايز جراد : « ذلك ان هذا الاستشهاد يكرس الان التحاما حقيقيا طالما افتقدته الأمة العربية بين قاعدتها : القيادة والشعب ، . . . ان روح التشكيك والانهازية تندحر ابعدا اندحار لدى مواجهة هذا الواقع : أن يموت القائد الى جانب الجندي ، بل قبله ، بل حماية له أحيانا ، ولن يبقى بعد ذلك امام الجندي ، الا ان يقتحم الموت قبل القائد ، بل حماية له ، وهذا التواصل في التضحية هو سر البطولات والانتصارات ، وهو الذي يتعالى على الهزيمة والانهازية ، ان استشهاد عبد المنعم رياض وفايز جراد ، شهادة جديدة على ان الانسان العربي لا يستطيع الا ان يحيا ، لانه يعرف ان يموت » . ولنتصفح ابحاث العدد : وجميعها بلا استثناء حول القضية العربية والثورة الفلسطينية والمقاومة سواء قريت أو بعدت ولكنها محور هذه الابحاث ، واذا تساءل البعض عن علاقة « حوار فلسفي مع الدكتور زكي نجيب محمود » بهذا الموضوع المثار ، نقول قد يكون بعيدا ، ولكن بنظرة متأنية نرى ان مناقشة الافكار والفلسفات التي تفوق حركتنا ، هي تخدم بلا شك ، وان كانت لا تحمل من قريب أو بعيد مناقشة القضية ذاتها ، ولكن وضوح الفكر والفلسفات ، وكشف السلب منها « هو سلاح للقضية ومن اسلحنا مواجهتنا .

### الى أين المصير ؟

واهم بحث في العدد الماضي ، ما كتبه الدكتور اسماعيل صبري عبد الله تحت عنوان : « الى أين المصير ؟ » مع تقديرنا لهذا المقال ، الا اننا نختلف قليلا مع الدكتور اسماعيل في بعض النقاط ، التي أثارها والتي تجاهلها ، ومعه تماما في معظم ما جاء في المقال من أفكار .

حدد الدكتور اسماعيل ابعاد الثورة العربية بثلاثة ابعاد : التحرري ، التقدمي ، والوحدوي ، والتي أحرزت نجاحات مؤكدة ، وعزا تشر الثورة في مواقع كثيرة لاسباب متعددة في مقدمتها ، تفرق القوى الثورية والتقدمية والصراع العنيف بينهما ، وتحدث عن ردود الفعل بالنسبة لهزيمة يونيو ١٩٦٧ فحدد رد الفعل المباشر والتلقائي للجماهير العربية التي رفضت الهزيمة وصمدت في وجه العدوان وأصررت على النضال حتى النصر ، ثم حدد موقف ما اسماهم بالواقعيين ، والثوريين وواضح انه لا يوافقهما - مع اختلافهما تماما - وأحالا الى « التحليل العلمي » على البارد « الذي هو وحده يهدي الى سبيل النصر » . واذا كان التحليل العلمي يساعد على اتخاذ الموقف السليم ،

لم تعد القضية العربية تحتل الجدل والنقاش ، ولم تعد القضية الفلسطينية تنتظر دورها في جدول هيئة الأمم المتحدة أو تحت رحمة المحاوره والمزادات بها ، وتهاوت كل الحلول السلمية أو الاستسلامية تحت ضربات الثوار الفلسطينيين ، الذين رسموا طريقا واحدا هو الكفاح المسلح ، وشعارهم النصر أو الشهادة ، وحددت دماء الشهداء الطريق ، والمسئولية امام الشعب العربي ، والقضية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من القضية العربية . واذا كان الشعب الفلسطيني - اليوم - طليعة الشعب العربي في كفاحه ضد الاستعمار والصهيونية من اجل اعادة فلسطين عربية . فالشعب العربي وجيوشه النظامية لهما دور أساسي في الانتحار مع الثورة الفلسطينية ، واذا كان العدو الصهيوني قد اغتصب جزءا من الوطن العربي هو فلسطين ، فقد امتدت اطماعه الى اجزاء أخرى من الوطن العربي ، وما يزال يخطط من اجل المزيد ، وهنا تتضح ابعاد الصراع الدائر ، ليس فقط من اجل تحرير الاراضي التي احتلت بعد عدوان ٥ يونيو - وان كانت محور الجدل ، ويعتبرها البعض المهمة العاجلة - ولكن نرى ان هذا مظهر من مظاهر العدوان والتي تكررت منذ وجود العدوان الصهيوني على أرض فلسطين العربية ، وهنا لا بد أن تكون خطة الشعب العربي هو القضاء على مصدر العدوان نفسه - مهما كانت التضحيات ومهما طال الزمن - وهذا يعني استخدام كل تكتيك يخدم هذه الفكرة ، يلتقي - مدعما - الثورة الفلسطينية .

وقد تشرّب بعض الاعناق في انتظار ما تسفر عنه اجتماعات الدول الكبرى . ومن البداية نقول ان مصير الشعب العربي نرفض أن يتقرر الا على الارض العربية وبفكر وعقل عربي ، فنحن نرفض أن تكون ميدانا للصراع الدولي ، او الحرب الباردة او مساومات أو تنازلات قد يفرضها الواقع الدولي والظروف العالية ، ونرفض ان تتحول قضيتنا الى المناطق التي عرفت بما يسمى بالمشاكل الدولية ، وتضاف مشكلة الى المشاكل المتعلقة في العالم ، يجتمع الكبار كلما أرادوا المفاوضات والنقاش حولها ، ونرى ان أي اجتماع للدول الكبرى ، أو أي مشروع لا تكون نقاطه الأساسية حق الشعب الفلسطيني في وطنه ، مضيعة للوقت ، ومحكوم عليه بالفشل مهما التقت جميع التيارات والقوى الدولية لتنفيذه .

حقيقة قد هزمنا في حرب يونيو ، هزمنا في حرب لم نخضها بعد ، ودب اليأس والشك في نفوس البعض ، ولكن الجماهير العربية في كل مكان رفضت الهزيمة ، ومنطق اليأس والتسليم ، وكانت مبادرتها في كل مكان ، وكان رصاص الثوار الفلسطينيين المشعل المضيء للتائهين في ظلام الهزيمة ، والتعبير الصادق لروح الثورة العربية ، التي تعرف كيف تدافع عن أرضها وتراثها وحضارتها . ونحن لا نسطر جملا انشائية في الحماسة ، ولكن نتعلم من الثوار الفلسطينيين ، ومن الثوار على ضفاف القناة ، الذين ذكرونا بمنطق التاريخ ، ومنطق الشعوب والذي ساهمنا فيه نحن العرب خلال مراحل التاريخ وعلى مر العصور ، في مواجهتنا لكل غاز ومستعمر ، وفي كفاحنا من اجل استقلالنا وحرينا ، وكان استشهاد الفريق البطل عبد المنعم رياض علامة على الطريق ، الذي نسي انه رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وتذكر انه ابن

فليس هو الموقف، فالمعركة دائرة اليوم والشهداء الفلسطينيين يتزايدون يوماً بعد يوم ، والقوات المسلحة المرابطة على طول الجبهات تشتبك كل يوم - تقريباً - ، كما ان « التحليل العلمي المنشود من اصعب الامور » كما يقول الدكتور ، فكيف يكون الموقف على ضوء ما عرضه من ردود فعل اثر العدوان ، لم يدلنا الدكتور اسماعيل على هذا الموقف !

وتحدث الدكتور اسماعيل عن النظرة الجزئية والتي تهمل بقية الحقائق المعقدة واكثرها فجاجة هي النظرة العنصرية ، والتي تستند الى ما يسمى « بروتوكولات حكماء صهيون » وتستمد الحجج من مستنقع النازية ، ونحن معه في هذا ، وقد عالج هذه النقطة بشكل جيد وعلى ممر العصور ، على ضوء ديننا الاسلامي وتاريخنا العربي وقيم حضارتنا العربية التي قامت وازدهرت تحت شعار « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » وهذه النظرة ما زالت رائجة لدى البعض ، وللأسف الشديد نجد كتباً في الاسواق العربية تقوم فقط على هذه النظرة العنصرية ، والتي نرفضها .

ويرى الدكتور « ان المستوطن الاوروبي في الجزائر كان من الناحية القانونية فرنسيا يعيش في الجزائر . اما المستوطن الاسرائيلي فليس له جنسية اخرى ، وبالتالي عليهم ان يستميتوا من اجل البقاء ، ومن ناحية اخرى - قدم عدد كبير من هؤلاء المستوطنين من البلاد العربية - وليس خافياً ان السياسة الخاطئة التي عمدت اليها بعض الحكومات العربية في تشجيع اليهود على مفادرتها نهائياً قد لعبت دوراً حاسماً في الدعم البشري لاسرائيل ، ففي الخمسينات كانت موجة الفرار من أوروبا قد انحسرت بعد انهيار النازية ، واستقرار الأوضاع في شرقي القارة . ولولا يهود اليمن ويهود العراق ثم يهود المغرب لما زاد عدد المهاجرين الى اسرائيل على النحو الذي تم به » .

ولا شك ان هناك فرقا بين المستوطنين في الجزائر ، والمستوطنين في فلسطين المحتلة ، ولكن القول بان المستوطن الاسرائيلي ليس له جنسية اخرى ، فنسائل من أي أرض أتوا ؟ والا كان هذا معناه ان المستوطنين بفلسطين المحتلة لم يعرفوا أرض غير هذه الأرض ولم يعرفوا جنسية سوى الجنسية الاسرائيلية ، وهذا غير صحيح ، فكل مهاجر نزح الى فلسطين المحتلة كان يحمل جنسية ، ومعظم الدول لا تسقط الجنسية عن رعاياها بمجرد ان يحصل على جنسية اخرى ، بل تضع لذلك شروطاً ومدة طويلة من الزمن ، حتى تسقط جنسيتها عنه ، واندليل على ذلك الهجرة من فلسطين المحتلة سنويا ، فالى أين يذهبون ؟ ومتى كانت لهم مشكلة في أية دولة منتمين من الذهاب اليها والحصول على جنسيتها ، رغم ولأنهم المزدوج للصهيونية وللدولة التي يعيشون فيها .

اما الجزء الاخر الخاص بالهجرة فنحن لا نوافق الدكتور ، فنحن معه على انه كان هناك بعض الاخطاء الصغيرة وقعت ليها بعض الحكومات العربية ، ولكن ذلك لم يكن الدور الحاسم في الدعم البشري لاسرائيل ، بأي حال من الاحوال ، ونسائل هل انتظر اليهود في الوطن العربي لكي تشجعهم الحكومات العربية على مفادرة البلاد ؟ اما الجزء القليل الذي شجعت عليه الحكومات العربية فقد كان يمثل عبئاً على أمنها ونظامها ومعظمهم كان ولاؤه للصهيونية . ولا اقول جميعهم ، حتى لا أقبح في خطأ اتعميم ، وربما ما حدث في بولندا في الشهور القليلة الماضية من عملية تهجير شاملة للصهيونيين واليهود - رغم خطئه - يبرر بعض الاخطاء التي وقعت فيها بعض الحكومات العربية .

ويقول الدكتور « في الخمسينات كانت موجة الفرار من أوروبا قد انحسرت بعد انهيار النازية واستقرار الأوضاع في شرقي القارة ولولا يهود اليمن ويهود العراق ثم يهود المغرب لما زاد عدد المهاجرين الى اسرائيل على النحو الذي تم به » . وكان الدكتور بهذا القول يذكرني بقول البعض من ان الفلسطينيين باعوا اراضيهم للصهيونيين .

واذكر الدكتور انه بعد الحرب وبعد انهيار النازية واستقرار الأوضاع في شرقي أوروبا ، كان معظم المهجرات من شرقي القارة ، وكانت الاسلحة أيضاً من شرقي القارة ، فقد وصل متوسط عدد المهاجرين

اليهود في الفترة من 1948 - 1951 حوالي 190 ألف معظمهم من شرقي القارة الأوروبية ، وكانوا يمثلون 20 بالمئة من عدد السكان اليهود في فلسطين المحتلة في تلك الفترة ، اما بعد ذلك ومنذ عام 1950 فقد اصبح المعدل السنوي للهجرة ما يقرب من 202 بالمئة من عدد السكان فماداً اضاف يهود العراق واليمن والمغرب ، بل اكثر من هذا ، ان هناك هجرة من اسرائيل الى الخارج بمعدل سنوي قدره من 8 - 9 الاف ، وصل هذا الرقم الى اعلى مستواه في الفترة من 51 - 1952 ، حيث بلغ 10 الاف من 1951 ، 14 ألفاً في 1952 ، 12 ألفاً في 1953 ، وهي فترة الازمة الاقتصادية التي واجهتها اسرائيل ، وفي جميع الاحوال شكل يهود أوروبا المصدر الاكبر والاساسي للمهاجرين . ( راجع سكان اسرائيل - تحليل وتنبؤات ، احمد حجاج - دراسات فلسطينية . )

## المخطط الصهيوني

وقد عرض الدكتور اسماعيل للمخطط الصهيوني : ابعاده ووسائله، عرضاً جيداً ، سواء من ناحية ظروف نشأتها ، أو ايدولوجيتها . أو هدفها في السيطرة الاقتصادية على الشرق العربي ، الا انه جاء في هذا الجزء خطاين تاريخيين :

الاول : « بل ان هرتزل زار مصر سنة 1904 ... » والمعروف انه زارها 1903 .

الثاني : « وقد حدد هرتزل الامور بأوجز عبارة ، حين كتب عام 1908 يقول « ان دولة يهودية في فلسطين أو سوريا ستكون امتداداً للحضارة الغربية وحصناً ضد الهمجية الشرقية » .

وهكذا تحدد الطابع المزدوج لدولة اسرائيل قبل انشائها بأربعين عاماً » .

وقد اكد الدكتور اسماعيل عام 1908 مرتين ، في بداية الجملة وفي نهايتها ، ومن المعروف ايضاً ان هرتزل مات في يوليو عام 1904 . ولنعد لناقش الافكار .

يقول الدكتور : « ولكن محاربة الصهيونية المالية لاندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها من جهة وتجدد الاضطهاد العنصري على يد النازية من جهة اخرى ، اعادت طرح المشكلة اليهودية برمتها وباعنف صورها على الضمير الاوروبي ، ومن ثم أصبح عسدد كبير من الناس الشرفاء يطفون على رغبة اليهود في ان يكون لهم موطن يلجأ اليه من يحس منهم بأنه لا يستطيع الاندماج في الوطن الذي يعيش فيه » .

ونسأل الدكتور أي شرفاء هؤلاء ؟ واين هذا الموطن ؟ وما رأي الشرفاء في أصحاب الوطن الشرعيين ؟

وقد كنت أود أن يحدد الدكتور - في هذا المجال - مسئولية الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، ومسئولية ما يسمى باليسار الاوروبي ، في الجريمة التي تمت على أرض فلسطين ، والمهزلة التي شارك فيها الجميع تحت منبر هيئة الامم المتحدة ، بل اكثر من هذا كيف شارك اليسار الغربي بموقفه الخاطيء من قضية فلسطين على طمس كفاح الشعب الفلسطيني وقضيته ، ونحن هنا لا ننطلق من مطلق عدائي ، بل نؤمن ان سئدنا في معركتنا مع الاستعمار واسرائيل ، هي الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي والذي نقدر له مواقف ومساعداته ، ولكن الذي يعيننا هو ما يحدث الان - دون الرجوع الى الماضي وأخطائه - الموقف من الثورة الفلسطينية المسلحة ، شعب يكافح من اجل تحرير وطنه ، لقد استقطب الدكتور موقف الدول الاشتراكية والتي هي مطالبة اليوم باتخاذ موقف حاسم من اسرائيل والصهيونية نظرياً وعملياً ، وهنا لا يكفي ان نرجع الى ما كتبه ماركس ولينين وستالين عن الصهيونية ، فما حدث في الواقع العملي كان ضد هذه الكتابات النظرية ، ولذا نقول نظرياً وعملياً ، حتى نستطيع ان نفهم موقف الدول الاشتراكية من قضية تحرير فلسطين .

اما النقطة الاخيرة والتي كانت في ذهني منذ بداية مناقشة النقاط، فهي موقف الشعب الفلسطيني الذي أعلن ثورته ، والتي هي امتداد

المهمة للادب والمساهمة في اعادة الوجه العربي لفلسطين ؟ هل كان مجرد ترمو متر يسجل حرارة الاحداث ؟ ام كان صاحب افق رحب يساهم في تغيير الاحداث ؟ »

ولنعد ثانية لتأكيد دور الجماهير ، فهي القادرة وحدها على تغيير الاحداث ، وليس الافراد ، حتى ولو كانوا شعراء ، وعندما يساهمون في تغيير الاحداث فلأنهم يفويون بين جماهير شعبهم ، واظن ان هذا ما ينطبق على شاعرنا معين بسيسو .

واذا كان « حوار فلسفي مع الدكتور زكي نجيب محمود » للاستاذ احمد ماضي ، كما سبق ان قلت ربما يرى البعض انه بعيد عن القضية الراهنة التي تناولها ، سواء فيما كتبه الدكتور اسماعيل صبري ، او ما كتبه عبد القادر ياسين او ما كتبه محمود عبد العظيم ، فنحن نرى قربا من القضية ، فاذا ادركنا ان معركتنا مع الاستعمار والصهيونية هي معركة طويلة تحتاج الى كل الاسلحة ، فلا شك ان السلاح الفكري عامل هام في الموقف ، كشفت الافكار والفلسفات التي تحول دون انتصارنا مهما تكونت واخذت من اشكال ، ونحن لا نحجر على احد في ان يبني ما يريد من فلسفات او فكر ، ولكن المعركة تكون بين كشف هذا الفكر ، اذا ما قدم للجماهير والطلبة في مدرجات الجامعات ، والمعركة مع الدكتور زكي نجيب محمود ، معركة مستمرة منذ اكثر من عشر سنوات . شارك فيها الاستاذ احمد ماضي بدراسته الجادة عن الموضوعية المنطقية ، متتبعا افكار الدكتور في كتبه المختلفة ، معارضا لها ، مشيرا الى ان « الفلسفة تزود الناس وبخاصة العلماء بنظرة عامة الى الكون والمجتمع والانسان لا غنى عنها في أي ميدان من الميادين . ان الفلسفة تمثل منهجا علميا يهتدي به في دراسة ظواهر الطبيعة والمجتمع وعمليا في الفكر البشري ، وهي لا يمكن ان تؤدي « دورا توضيحيا » فقط لما يقره « العلم والعلماء » .

وستكون هذه المعارك الفكرية وغيرها محور المناقشات بين المفكرين في المراحل القادمة ، لانها ليست منعزلة عن معركتنا الدائرة بين الاستعمار والصهيونية .

واخيرا فلجميع كتاب العدد الماضي تقديري لما طرحوه وما ساهموا به في مناقشات جادة حول القضية العربية والقضية الفلسطينية ، واعتقد ان اي خلاف هو اثر للفكرة نفسها ومشاركة متواضعة في طريقنا الذي رسمته الجماهير ، الطريق الى النصر ، بالكفاح المسلح ، والمواجهة الثورية في كل الجبهات وفي جميع المجالات ، والتي تمارسه اليوم الطلائع الثورية للشعب العربي على ارض فلسطين ، وعلى الجبهات العربية الاخرى المواجهة للعدو .

جلال السيد

القاهرة

## المكتبة الوطنية وفروعها

البحرين - الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية  
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »

لكفاحه منذ نصف قرن تقريبا ، وكنت اود ان يتسع الكلام في هذا البحث المطول عن القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية ، حيث لم اجد سوى فقرة عن « نور شعب فلسطين ، في النضال من اجل حقسه المشروع في وطن مستقل » في الوقت الذي يتحمل فيه العبء الاكبر من الوقف ، وعليه - ايضا - يتوقف تحقيق الاستراتيجية فمفتاح الثورة العربية - اليوم وغدا - القضية الفلسطينية والموقف من الثورة الفلسطينية المسلحة ، واي كلام عن التقدمية او الثورية او اليسارية لا يقاس الا من خلال الموقف من هذه الثورة .

ومع كل ملاحظاتي على بحث الدكتور اسماعيل صبري ، فلا شك انه بحث هام ، عالج فيه القضية بمقدرة وذكاء شديدين .

اما البحث الثاني فكتبه الاستاذ عبيد القادر ياسين عن « استراتيجية الفداء » ولم افهم معنى العنوان الا اذا كان قصده استراتيجية العمل الفدائي ، فالفداء بالمعنى المجرد موقف ذاتي ، يختلف من شخص لآخر ، وتختلف النظرة الى القضية التي يفتديها الانسان ، من شخص لآخر ، وبالتالي كيف يكون لهذا الموقف استراتيجية، الا من خلال عمل جماعي ، تخضع لشروط وتنظيم وبالتالي تكون لها استراتيجية ، وقد يختلف كل عمل فدائي عن الاخر ، طبقا لظروفه وقضيته وبالتالي تختلف كل استراتيجية عن الاخرى ، وقد تبسح الاستاذ عبد القادر ياسين العمل والوقف الفدائي في بعض مراحل التاريخ الانساني واعطى الامثلة ، وخاصة بالنسبة لتاريخنا الاسلامي .

وعلى ما اعتقد فقد خلط بين الفداء والشجاعة والحماصة . فمثلا اني باحد ابيات المتنبي وغيره على انها تحض على الفداء ، منها :-

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تعيش جبانا

وقول فطري بن الفجاءة :

وما للمرة خير في حياة اذا ما عدن سقط المتاع

وقول ابو بكر « احرص على الموت توهب لك الحياة » .

هذه الامثلة لا اعتقد ان لها علاقة بالفداء ولكنها تندرج تحت باب الشجاعة والحماصة . اما خلاف ذلك ، فنحن قد استمتعنا بالمقاطع التي اوردها من الشعر الفلسطيني ، وكنا نود لو انه اعطانا تفصيلات اكثر حول البنود الستة التي حددها في نهاية المقال ، لزيادة ردود فاعلية العمل الفدائي الفلسطيني .

وفي دراسة جادة مخصصة كتب الاستاذ محمود عبد العظيم عن « الموقف الايديولوجي في شعر معين بسيسو » وهو متحمس باخلاص لشعر الشاعر الكبير معين بسيسو ، ونحن معه في هذا ، فكثيرا ما هزتنا قصائد معين وتأثر الكثيرون به وقد تتبع بجهود ووعي مراحل الشاعر كما حددها . واعطى النماذج التي تؤكد وجهة نظره ، واذا كنا نتفق مع الصديق محمود عبد العظيم على الاعجاب بشعر معين ، فاني اختلف قليلا معه في الثلاث مراحل التي صدرها : المد الانفعالي والجزر، والمد الواقعي ، لان شاعرنا لم يعرف المراحل ولكن لسم استطع ان اهتدي الى معنى هذه التعبيرات الثلاث ، فارى ان الشاعر - ما دام يعبر عن تجربته وموقفه باخلاص ، فلا يعنيني الانطباع السريع عن قصائده في اي مرحلة ، فربما كانت قصيدة قد يراها البعض يائسة ومع ذلك فهي تعبر عن موقف بعيد كل البعد عن اليأس ، ربما الذي طرا على شعر معين هو فينته ، وجودته المستمرة في صياغة افكاره ، وربما تكون هذه المراحل ، اما المد والجزر كما نعرفهما في السياسة فمن الصعب تطبيقها على الشعر .

ولسنا مع الصديق محمود في ان « الفكر او الفنان او المثقف المدع هو معلم الجماهير وملهمها من خلال ثقافته الثورية .. » فالعكس هو الصحيح ، فالجماهير هي معلمة الفكر والفنان والزعيم السياسي ، وكلما ارتبط هؤلاء بقضية الجماهير وواقعهم كان تأثيره في هذه الجماهير يعطي وياخذ ، ولا يكون له موقفا ذاتيا متفردا به ، وبهذا المعنى والاستمرار فيه كتب .. الى ان مدى فهم الشاعر معين بسيسو هذه

لا يوجد الآن من يتمسك كثيرا بمفهوم الشعر التقليدي باعتباره مرآة عاكسة لواقع الحياة على نحو مباشر ، وخادم مخلص للأفكار أو الطبقة أو الموقف ، بينما تتوافق آراء النقاد المعاصرين على اختلاف مذاهبهم الفنية ودوافعهم على المفهوم الجديد للشعر كخلق وإبداع وفعل يعيد صياغة الواقع والحلم الإنساني ويمثل إضافة للحياة وتوسيعا لحدودها .

ولكن شاعر اليوم المحاصر بهجوم متواصل رهيب من أجهزة الاعلام الحديث والمعرض باستمرار لضغوط التنفوق المادي ، والاختلال ، والعناصر المعادية للإنسان ، والدافعة به الى الاغتراب والعزلة عن عالم هو من صنع يديه ، قد يرى في عملية الخلق الهادي العظيم موقفا مستحيلا أو لا اخلاقيا ! اذ كيف له ان يتغنى مثلا بانتصارات الانسان واحلام السعادة المقبلة بينما رائحة الجثث البشرية وجرائم الاستعمار في عصر تشابك المصير والتكنولوجيا تتصاعد لتزكم الانوف؟! يكفي ان يدير الشاعر قرص المذيع او يلقي نظرة واحدة على مانشنتات جريدة يومية لكي يشعر بعثت الكتابة ويتوقف عن الفناء . فالخبر السياسي ، غارة ، او عمل فدائي ، او بيان عسكري ... الخ قد يكون اقوى بما لا يقاس في تأثيره على وجدان الشاعر والقارىء من ذلك الشعر السذي يتغنى بانتصاراتنا ، وليس امام الشاعر الا ان يكف عن الفناء او يكتشف طريقا جديدا يلائم طبيعة الحياة المعاصرة .

ولقد اكتشف الشعراء الجدد طريقين جديدين ، احدهما طريق الشعر السياسي والثاني طريق الشعر الشامل . ولا نزع ان ايا من هذين الطريقين جديد تماما ، فان جذور الشعر السياسي تمتد الى كل الشعراء القدامى الذين واجهوا بأشعارهم تفسخا اجتماعيا او اختلالا حضاريا ، كما ان الشعر الشامل قد وجد صورته الاولى العظيمة في اعمال الشعراء الكلاسيكيين الكبار وغيرهم . ونحن لا نزع ايضا ان ايا من الطريقين الجديدين قد تم انجازه على نحو نهائي فان الاعمال الشعرية العظيمة هي التي تحدد وحدها ابعاد كل من الاتجاهين الجديدين وان الموقف النضالي المحتدم بين الشاعر المعاصر وواقع الحياة هو الميزة المشتركة في الاتجاهين معا .

اما الشاعر السياسي المعاصر فقد واجه الحياة الجديدة بنفس اسلحتها التي لم تعرفها الانسانية من قبل ، لقد واجه الخبر بالخبر ، والرقم بالرقم ، والتاريخ بالتاريخ ، والتقرير بالتقرير ، والصورة بالصورة ، رافضا مستنكرا متحديا لعنسا مصمما كاشفا عن الزيف والخداع ، مضحيا الى حد كبير بجمال الصورة التقليدي ورشاقة التعبير وصفله ، فعل ذلك اريش فريد في ديوانه ( وفيثنام ايضا ) وفي قصيدته المنشورة بالعدد الماضي من الآداب ، وبفعل ذلك شعراؤنا العرب منذ هزيمة الخامس من حزيران على نحو لم يسبق له مثيل مرتفعين بالقصيدة السياسية العربية الى ذرى جديدة تشهد بنضالية الانسان ، وتقدم مجلة الآداب عشر قصائد من الشعر السياسي لعشرة من شعرائنا سنناقش بالتفصيل ما قدمه كل منهم على حدة .

واما عن شعر الشمول الانساني فقد واجه الحياة الجديدة التي تدفع بالانسان الى الاغتراب وتفقدته مقدرته على العطاء والابديع بالوقوف الى جانب هذا الانسان كاشفا في الاسطورة والتاريخ والواقع عن مكانه الحقيقي وكل ما يعيد له ثقته بنفسه الممزقة وقدرته على الوقوف من جديد على قدميه في مواجهة عدوان العالم الحديث مناضلا عن وجوده وعن قيمته وقصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي المنشورة في عدد الآداب الماضي هي الوحيدة التي تنتمي الى هذا الاتجاه النفسي وتمثله بين قصائد العدد ولذلك سنبدأ بمناقشتها وتقديمها وبعد ذلك نقدم باقي القصائد .

من الممكن ملاحظة بداية اتجاه تجربة البياتي الشعرية نحو الشمول في ديوانه ( الذي يأتي ولا يأتي ) حيث انطلق الشاعر متجولا في حدائق التاريخ وخرائبه فارنا في الاحجار وفي الطبيعة وعلى صفحات المياه وفي سير العظماء من الرجال والنساء وفي سير البسطاء من الرجال والنساء ، وفي روائع الادب والفن ، وفي هزائم الادب والفن كل ما يشهد بعظمة الانسان وما يهبه دافعا لمقاومة الشر . لقد بدأ البياتي شاعرا رومانسيا ثوريا وركز اعلامه في فترة تالية في ميدان الشعر السياسي مستبدلا منفى بمنفى جديد ، وهو الآن مثل سان جون برس ، يشمر في قصائد حب الي عشتر بان عليه - ان يفتح من جديد موطنه الجميل ، والمملكة الجميلة التي لم يعد يراها منذ الطفولة وان يتودعها في تشييده - . لم يعرف البياتي آلام الازدواج الذي تفرضه الحياة على الشاعر المعاصر ، والتنمزق بين ضرورة التألف جزئيا مع هذه الحياة كاتسان وبين ضرورة الوقوف ضد شرورها كشاعر ، فقد ظل البياتي منغيا مما جعل من حياته وشعره شيئا واحدا ، في تفاؤله وفسي نمرده وفي حزنه وفي دفاعه عن الحرية وتفنيه بصمود الانسان . وقد تنازل البياتي في سبيل ذلك عن كل شيء ، ولم يمتلك غير كلماته وقصائده ، وعاش اميرا مفلسا متجولا في الزمان والمكان جامعا لكل ما يشهد بعظمة الحياة .

ويتحول الشعر الى قتال لا هوادة فيه حين يتوحد الشاعر والانسان والمنفى . فهو يدافع عن نفسه حين يدافع عن الفقراء وحين يندد بقوى الشر وحين يستمد من تراء الطبيعة وحكمة التاريخ والمسق الاساطير التي خلقها الانسان شهودا على عدالة قضيته . وقد استطاع البياتي ان يفعل ذلك مغنيا لان الفناء بالنسبة له حياته نفسها وليس عزاء خاليا او تعويضا بالوهم او تنفيسا ذاتيا .

طالب البياتي بالحرية والعدل ووقف في جانب جموع الفقراء ضد مستغلبهم ومضطهدهم وقت ان كان يعيش داخل وطنه الاول وهو الآن بعيد عن هذا الوطن وما زال واقفا ضد عالم السطوة والارهاب ولكنه لم يعد يقتصر على رفع شعارات الثورة والحرية والعدل وانما يهدف الى بعث وطنه الاول واستعادته فيتلمس الطريق فسي صورة شجرة السرو ، في فطرة نور بين نهديها الصغيرين ، وفي رعشة بركان يشور في أحشائها ، في الرقة الصامدة ، وفي القوة الدفينة ، ويتلمس الطريق في وجه عشتر الجميل الذي لا يقب عنه في منفاه ويظل يلاحقه رغم القتل والارهاب والسحر وموت الآلهة ، ويتلمس الطريق فسي قوانين الحياة الازلية ، في النمو والتفتح والازدهار - صارت الوردة طفلة . صارت الطفلة انثى عاشقة - ويتلمس الطريق في شواهد الماضي التي تؤكد وجود الانسان وتنفيه في نفس الوقت - من هنالك مرت وفي هذي الطلول الدارسة . لاحقتني لعنات الآلهة . والذئاب الجائعة - ويتلمس الطريق الى بعث وطنه الاول الجميل فسي الصراع والجنل والتناقض والحركة حيث يولد الامل من العجز والجوع والتساؤل - من ترى ذاق - فجاجت روحه - حلو النبيذ؟ - وحيث يرسو سخاء العالم الاسطوري فوق كآبة المقهى . وحيث تومض صور البعث الجميل خلال توالي عمليات الهدم والبناء مجسدة في شجرة السرو ، واشواق المنفى عن وطنه ، ونمو الجسد الانساني ، والجوع في بستان مثقل بالثمار ، والتساؤل امام معجزتي الحياة والموت ولسون عيني عشتر وذكريات العنوش القديمة والانتصارات القديمة .

ويبدو الانسان في قصائد حب الي عشتر ممزقا مشدودا من جانبيين متناقضين . الطبيعة والاسطورة والتاريخ والعقل فسي جانب يؤكد قيمته وقدرته على ابداع الحياة وفي الجانب الآخر يوجد عالم السطوة والقتل والارهاب والملوك السحرة ومن خلال الصراع بين هذين العالمين يولد الطريق والخطى وتلوح صورة الوطن الاول في بعث العظيم والامل في ان لا تسقط ازهار الانسان قبل ان تمنح الحياة الثمار .

فالقصيدة تجسيد فائن لهذا الصراع يؤكد لورثة البنائين الاول قدرتهم  
اللانهاية على النضال .

## الانتظار - مهدوح عدوان

كان على من استطاع من شعب فلسطين ان يتشبث بالارض بعسد  
الاحتلال الصهيوني ، وظل جزء من هذا الشعب المناضل منتشبا بارضه  
صامدا مناظلا منتظرا الحرية او الموت - ان لم يرجع فارسنا . سنظل  
الى ان يأتي الموت - وقد استطاع الشاعر مهدوح عدوان ان يكشف عن  
الجوهري الطولي لهذا الانتظار في قصيدة اشبه بنشيد يغنى بطولية  
الصمود والتشبث بارض الوطن . وقد استطاع الشاعر بصياغته الفنائية  
الحارة ان يجسد هذا المعنى على نحو قوي مؤكدا بذلك ان الشكل الفني  
خاضع في نهاية الامر لمقتضيات التجربة التي يصر عنها الشاعر ، ولقد  
تكون الصياغة الفنائية بكل ما تتسم به من تعميم وطابع رومانسي اكثر  
الصياغات توفيقا في تجسيد تجربة ما تتطلب تلك الصورة .

جذور الريح - مقطع من قصيدة طويلة - حسب الشيخ جعفر

سبق ان علقنا على اجزاء اخرى من قصيدة الشاعر حسب الشيخ  
جعفر وناقشنا ما اثارته هذه الاجزاء من ضرورة تحديد مفهوم القصيدة  
الطويلة على نحو موضوعي فلا يكتفي بمجرد الاستدلال بطول القصيدة  
وعدد الابيات . وانما بالدلالة الفنية للتسمية التي تتطلب شكلا متميزا  
وبناء خاصا . ولا نود ان نعيد اثاره هذه القضية او ترديد ما هو معروف  
بداية في الفن من ان الحكم الصحيح على العمل الفني لا يمكن  
استخلاصه من خلال بعض اجزائه وانما يلزم تناول العمل بأكمله حيث  
ان الاثر الكلي للعمل يعد من اشد العوامل تأثيرا في تدعيم الحكم  
النقدي . وعلى اية حال فاننا نواجه تطورا في فنية الشاعر لا يحتاج  
الى كثير من الجهد للتعرف عليه في ذلك المقطع المنشور في العدد  
السابق بعنوان ( جذور الريح ) ونلاحظ تركيز التجربة في هذا المقطع  
في صوتين واضحين متميزين بعد تشبثها في المقاطع السابقة تحت  
عناوين فرعية مثل صوت اول وثان وثالث وكورس .. السخ ونلاحظ  
نجاح الشاعر في خلق المناخ الدرامي بقدره غير عادية على السرد  
الصوري المركز وفي تجسيد الصراع من خلال الجدل بين الصوتين .  
الصوت الاول وهو ما يمكن ان نسميه بصوت السراوي او الشاهد او  
المأساة والصوت الثاني ويمكن تسميته ايضا بصوت البطل او المحارب  
او الفدائي . ولعل عثور الشاعر في هذا المقطع من قصيدته الطويلة على  
الشكل المبسط والملائم للتجربة هو سر القوة والتدفق والحركة التي  
تسرع بها تسري بين الابيات وفي تلاحق الصور الشعرية وتحررها  
وجديتها مما يضفي على التجربة عفوية ظاهرة تجعلها سهلة التلقي بينما  
يختفي خلفها - كما يجب ان يختفي دائما - جهد الفنان .

## عرس الارض - خالد ابو خالد

يستمد الشاعر خالد ابو خالد مادة قصيدته من عالم الخيال  
والنغم والحكمة الشعبية ويعيد صياغة هذه العناصر مستعينا بها في  
التعبير عن قصة غربة الانسان الفلسطيني عن ارضه ومجد نضاله من  
اجل استعادة ارضه وحرية . وهو لا يكتفي بالاستفادة من هذه  
الجذور الفولكلورية على طريقة الشاعر الشعبي وانما يخضع مادته لفن  
صياغي جديد . ويبدأ بافتتاحية اشبه بالموال في المقطع الاول ثم يثني  
بابيات مكتوبة في شكل الحوار ، قصيرة ، حادة ، تتصادم مع بعضها  
على نحو متواصل ومتصاعد سرعان ما يكشف للقارئ في صورة صارخة  
عن طبيعة التجربة التي سيواجهها .

- طفلك

- يزوجونها للاعور الدجال ... طفلك

حناؤها دمك

وينتهي المقطع الثاني بعد ان يكون الشاعر قد مهد القارئ تماما

للمأساة المقبلة حيث تتجسد في المقطع الثالث عندما يلوح الموت ، ليس  
بوجهه المادي المألوف وانما كرمز للانفصال عن الحياة واليأس :

أكلتهم - أكلت بعدهم رغيفهم  
لان حزنهم عقيم  
ناموا على ايديهم ... تصوفوا  
وأصبحوا ملائكة

ولكن الحياة لا تشبه اسطورة المغارة التي قتلت الانبياء ، كذلك  
فان الانفصال عن الحياة واليأس ليسا بأكثر من وقفة معززة في مسار  
الوجود وها هي روح النضال والتفائل تعود في المقطع الرابع نابضة  
بمنطق الحياة فلا يقدم لنا الشاعر صورة مثالية صافية لكفاح الانسان  
وعلاقته بالارض وانما يقدم صورة واقعية خشنة وعميقة الدلالة للانسان  
الذي يحتمل اللعنة والعمران من أجل استعادة ارضه كذلك فان العرس  
في المقطع الختامي في القصيدة لا يجسد انتصارا ماديا لم يتحقق بعد  
وانما يجسد انتصار الانسان المناضل على نفسه كبدية ضرورية لتحقيق  
انتصاره على عالمه .

## ملاحظات قبل الرحيل - محمد عز الدين المناصرة

تهز قصيدة الشاعر محمد عز الدين المناصرة وجدان القارئ  
بعنف فهي قصيدة نضالية معاصرة ، لا تناقش ولا تصف ولا تتغنى ،  
لا تتفاعل ولا تتشامم ولا تردد الشعارات المألوفة ولكنها ترفض وتتحدى  
وتمزق . ولا يحدث ذلك الرفض والتحدي والتمزق من خارج المأساة او  
من لحظات تأمل عاطفي وانما من خلال بعض تفاصيلها الصغيرة ، من  
خلال الرسائل الناقصة ، وشوق الام لرؤية ولدها ، والليل المرقور الذي  
ينتظر العائد وكل ما يفتح العيون على الوجه المادي للمأساة ، وكل  
ما يؤكد عبث التوهيم فالمأساة عالم المناضل الوحيد ، وعليه ان يتشبث  
به ويدعو الاخرين لمثل هذا التشبث . وقصيدة محمد عز الدين المناصرة  
من القصائد النضالية العليقة التي لا يلجا فيها الشاعر الى الخطابة  
والنغمات العالية لتحقيق الاثارة المطلوبة ، وانما يشق طريقه الفني  
الى هدفه في دروب اكثر هدوءا وعمقا وارتباطا بواقع المأساة ويستعص  
بالرمز عن الدعوة المباشرة وبالصورة عن الهتاف وبالتقرير الموجز المختار  
بدقة التكلف البلاغي وهو لذلك اكثر قربا من روح القصيدة المعاصر ومن  
حقيقة المأساة التي نواجهها .

## من مفكرة فدائي - عمر أبو سالم

تحول العمل الفدائي الى رمز للموقف الذي يتخذه الشعب العربي  
من مأساة احتلال الصهاينة لارضه في فلسطين وغيرها . وقد غير هذا  
الموقف من صورة المأساة واحتمالاتها . فبعد ان كنا عظاما على دروب  
القيظ نسال الظلمات . ونمد أكفنا ، ونحلم ، ونترقب الصباح عبس  
مدامع الاطفال . تبذل حظنا باتخاذنا الموقف الجديد وغادر سيفنا غمده ،  
وتلاقينا ، وجزنا أبحر الظلمات ولم نعد نحيا على التذكار ، واقترب  
الصبح الحقيقي ولاحت صورته الاخاذة الآسرة :

عبرت النهر مرتقبا نذاك الفض  
عل مياهه ... تسخو وتفسلني  
وقلت اراك يا أرضي ويا وطني

هذه هي التجربة التي يقدمها لنا الشاعر عمر أبو سالم في صورة  
واضحة قوية التكوين والبناء ، محملة بطابع الاداء التقليدي ، وان لم  
يفقدها ذلك حرارتها الاصلية .

## من تجولات الحجاج في الليل - عبده بدوي

لعله اشد ايلاما للنفس ان نركز ابصارنا على ضعفنا وآثامنا رغم  
ان ذلك ضروري ليتحول حلمنا بالخلاص الى امتداد عيسق للحياة ولا

الذي يبض على بقايا الترس التي يختم بها الشاعر قصيدته ولكن هذه الدهشة لن تجد لها مكانا في نفوس المدافعين عن حريتهم وعن حرية الانسان لانهم يعلمون جيدا كيف يمتزج الحب بالموت في كل خطوة على طريق النضال .

## صليب من الازهار - شوقي العمري

في استطاعة الشاعر ان يفجر نبع الاشتياقات الانسانية النبيلة في صميم عالم المأساة . ويقدم الشاعر شوقي العمري في قصيدته صورة لهذا الابداع فيصنع صليباً من الازهار ، ويمزج بين أشد صور الحياة قتامة وأشدها تألقاً وازدهاراً ، ويستمد من الطبيعة الخلافة في ارضه المغتصبة ومن رموز الحكايات الخرافية ومن توهج الذاكرة المادة التي يصوغ منها صورة مأساته واشتياقه وحلمه التي تنتظمها مقاطع القصيدة الثلاثة فمن خرافة الساحر والامير حارس الطريق تولد الاغنية الاولى ولكنها ما ان تأخذ في النمو حتى تحاصر آلام العمام العشرين ، وسعال الريح ، والملح والسرقة والقتل . تولد الاغنية لتسقط في شراك عالمنا ولكنها تنهض من جديد محملة بأشواق هذا العالم نفسه ولا تتوقف على حدوده وانما تأخذ في التعالي مستمدة قوة جديدة من عالم الذكريات حين كان الانسان قادراً على الحب والتعاطف ويستعيد الشاعر هلمات الحنو القديم ويلوح له ولنا ذلك المعنى الانساني العميق المختفي وراء الحزن وترق الصور وتنساب لتمنح الشاعر في مقطعها الختامي زنار ورد وغدير طائر مسافر وقبلة ازار وكؤوس من الشمس البعيدة ونهوددالية على سطوح تلة بلا ضباب ويسطع المشهد تحت ضوء جديد ، ضوء الامل المتجسد في عيون الصديق ، والمتحدي كل حزن او سور او موت معلنا ختام هذه القصيدة الرقيقة القوية البناء .

شوقي خميس

القاهرة

# حديثنا

للشاعر

محمد ابراهيم ابو سنة

الثن ٢٠٠ ق ٠ ل

صدر حديثاً

يكون مجرد وهم ساذج هروب لا يلبث ان يتحطم على صخور الواقع ويتبدد مخلفاً احساساً عميقاً بالهزيمة . فلنواجهه اذن صورة التشوه والذعر والموت ولنتعرف على مكاننا ومسؤوليتنا في هذه الصورة فان من لا يمتلك الشجاعة لمواجهة ضعفه لن يجد القدرة على تخطيه .

لقد تعود الناس على الاشاحة بوجوههم عند رؤية الوقائع المخيفة او القاسية . ويستطيع الشاعر ان يجنبهم تلك الرؤية بتغليف تجربته المؤلمة بالاستعارات والرموز بحيث تبدو مقبولة لدى الناس . ولكن اما حان الوقت لكي نتقاسم معا وبشجاعة حصاد افعالنا وصمتنا والمرارة والحزن . نحن المسؤولون جميعاً عن بشاعة عالمنا ؟ بهذه الروح الداعية الى المشاركة الشجاعة يقدم لنا الشاعر عبده بدوي قصيدة قوية ومخيفة وخالية من العزاء . انه يقسو في سخريته الرامزة وفي اختياره لصور السطوة التي تسحق البراءة مجسدة في موت العصفير وضباع الكتاب وتوقف الاطفال عن اللعب . لقد وفق الشاعر في تكوين الصورة الساحرة مثل صورة القمر الهارب خلف السحب خوفاً من استجاب بلا سبب ، ووفق في اختيار رموزه المستمدة من واقع الحياة مثل الاطفال والعصفير والكتاب وعصا الحجاج ووفق اخيراً في اختيار الرمز الاساسي من التاريخ واستطاع ان يجسد عالماً من التسلط والذعر يصيب الحياة بالمقم والجفاف من خلال ما يستشير به ذكر اسم الحجاج وعصاه والقليل من صفاته وافعاله وكلماته . وقد اجاد الشاعر عبده بدوي استخدام اسلوب السرد الدرامي الذي يعتمد على الابداع في تصوير المكان والجو والشاعر ويهتم اهتماماً كبيراً بالحركة وتطوير الانفعال في القصيدة وحقق بذلك مستوى يدعو الى الاعجاب في الصياغة المعاصرة للتجربة الشعرية .

## قصيدة للانسان - محمد الشيخى

يلجأ الشاعر محمد الشيخى الى الخطابة والتقرير ونظم المعاني في صياغة تجربته فتبدو القصيدة اقرب الى النشيد الحماسي التقليدي منها الى القصيدة العصرية . ان اهم ما نلاحظه على قصيدة محمد الشيخى افتقارها للرؤية الخاصة وانحصارها في التعبير عما هو عادي وعام . واننا نحن الذين نناضل في سبيل تحرير ارضنا مقتنعون سلفاً بعدالة موقفنا ولا يجدنا كثيراً تقرير ما هو معروف على مستوى الادراك العادي وان جاء ذلك التقرير في اسلوب يبلغ ذلك لان دور الفن على خلاف ما فعل شاعرنا يتمثل في قدرته على التجسيد الرمزي او الواقعي لعالم المأساة من خلال رؤية الفنان الخاصة التي تكسب المعاني والافكار وجوداً حياً مرتبطاً بالصورة الشعرية ، وجوداً مختلفاً عن ذلك الذي تخلقه الخطابة والهتاف ونظم الافكار فمن هنا تبدو اهمية المفاهيم المعاصرة للقصيدة التي تدعو شاعراً مثل محمد الشيخى الى التزود بمكاسبها ليمنح تجاربه الفنية قوة كبرى في التعبير والتأثير .

## صفحتان من مذكرات فدائي - وليد ابراهيم سيف

الحنين والحلم لظننان متعانقتان عناقا خالداً وما سهل ان يصبحا لحظة واحدة ممتدة في الزمان . وقد يقال بانهما يمثلان موقفاً سلبياً تجاه معركة التحرير واستعادة الارض التي تتطلب فعلاً ايجابياً قبل أي شيء آخر . ولكنهما في قصيدة الشاعر وليد سيف يتسمان بايجابية حققة ، فهما يملآن المسافة الدامية بين حاضرننا الجريح والمستقبل الذي نصبو اليه ، يملأنها بأغنية حب حزينة للارض المغتصبة ، بقبلة خضراء ، وموعود ، وحنين الى الحبيبة وواحة الجسد وشيئا فشيئاً تتجسد صورة الحلم في المقطع الثاني من القصيدة ويتحول الاحساس الفئاني الغالب على المقطع الاول في القصيدة الى خلفية للحب المتوهج الذي يفرغ زنود الرجال ويجعل اعشاش الصبح وتلوح صورته باباً مفتوحاً لكل الناس . ولقد تثير الدهشة صورة العصفور

## بقلم فاروق عبد القادر

\*\*\*

إذا رجحت كفة لا بد أن تشيل الأخرى . هذا صحيح . والكفة التي شالت هنا هي قصص العدد الماضي من الآداب . أربع قصص لا تميز منهن واحدة فتلقت النظر ، قصص متوسطة القيمة لا تضيف إلينا الكثير فنيا أو فكرياً : « العصفير » لرشاد أبي شاور ، « الأرض » لفايز محمود ، ثم « العطف » ليوسف الحيدري ، و « طعم للفيلم » لفهد الاسدي .

المكان عامل مشترك بين القصتين الأوليتين : العصفير والأرض . وعند الفلسطيني أصبحت فلسطين الآن كلها إلى الغرب ، فانت إذا وفقت حيث وقف بطل القصة الأولى - على ما كان الضفة الغربية للاردن - فلا بد أن تتجه بناظرنا غرباً ، فما بين نهر الأردن إلى الشرق ، والبحر المتوسط إلى الغرب يتمدد - منهكا - جسد فلسطين ، وأنه إذا وفقت حيث وقف بطل قصتنا بحيث تبدو لعينك - على البعد أشجار البرتقال في سهول الأغوار فقد تحس إحساسه : إلى الغرب هناك الذي ضاع ولا بد من استرداده ، كلنسنا لن نستطيع العبور إلا مقاتلين .. تسبقنا فوهات السلاح ، لا بد .

( لكن العصفير لا تعرف هذه الحدود بعد . فبوسعها أن تنتقل من شرقي النهر إلى غربيه ، نبيت الليل على شجرة هنا وتلتقط غذاءها من حقل هناك . وفي الصباح الباكر ترتفع سقسقتها - بعد أن نفخت عنها نوما عميقاً - لتعلن مجيء نهار جديد . بطل القصة ممن مكنه خلف هضبة صخرية باردة يتابع غمامة الليل وهي تنزاح تدريجياً تحت الأشعة الدافئة المضيئة ، وحده مع الطبيعة والسلاح : الطبيعة تغعم روحه بالحنين إلى أرض تسلكي هناك غرب النهر كان له فيها أصدقاء وذكريات ، والسلاح يمنحه الثقة في أنه يستطيع يوماً أن يعبر .. إلى حيث تلوح أمامه من بعيد برتقالات نظيفة ومفسولة فسي يبارت الأغوار .

صوت العصفير يرتفع ، والشمس أيضاً ترتفع . وفجأة .. يرتفع هدير الرصاص ، عبر الرجال تحت وأبل الدم والموت ، تألفت العناصر كلها معاً : الطبيعة والسلاح والإنسان . وحين حدث هذا تناغمت سقسقات العصفير المفردة وذابت كلها ليتصاعد غناؤها « كجوقة منتظمة الإنشاد .. » .

« مر بجانب أذنه اليسرى « وشيش » ، أخفض رأسه ، رصاص طائش ، ارتطم بكنفه شيء ، تلفت جانبه ، التوت ذراعه لنجوس القماش فوق الكتف . دم . لا يعقل .. ارتجفت أمامه بقايا طائر دوري ، وبسرعة فهم ما حدث . أخرج مندبله من جيبه ، لم بقايا العصفور بحرص ، حملت أصابعه بعض حبات التراب المدماة . حين انتهت نوبة الحراسة تسلق المسارب الصاعدة بين الصخور ، نوهجت الحياة بنور الشمس ، حلقت العصفير مبتعدة في الفضاء الرجس رؤوسها تتجه إلى الغرب . خاطب نفسه : غدا سأدخل مع المجموعة وسأدفنه هناك ، في الأرض غربي النهر . » .

هذه قصة رشاد أبي شاور الجديدة . بسيطة جداً وإنسانية . وتقول لنا : نحن لا نستطيع العبور إلا مقاتلين ، حتى طائر الدوري - الذي يعلن فرحة الحياة بنهار جديد ولا يفلت من رصاصهم ، ونحن لا نستطيع أن نعلن فرحتنا بالنهار الجديد إلا إذا ارتفع دوي الرصاص مع مطلع .. لتتسجم العناصر الثلاثة معاً : الأرض والسلاح والإنسان . لي ملاحظة حول استخدام الكاتب لبعض التعبيرات . مثلاً : « ادلهم في شرايينه شوق إلى أماكن غير بعيدة ، يتفصح بينه وبينها شريان أخضر .. » ، أنني أستطيع أن أفهم المعنى على هذا النحو : أنه يشنق إلى أماكن قريبة يمتد بينه وبينها واد أخضر . أما استخدام

كلمتي : ادلهم وانفسح هنا فهو استخدام ناب وغريب ، كذلك وهو يذكر قرينه - أو مدرسة قرينه بالتحديد - فيقول : « تخرج منها رجال لهم فريدة خاصة .. » ما فريدة هذه ؟ .. لا شك عندي أنه يعني نفرداً خاصاً .. ، أن بعض الإلفاظ تفرض نفسها على الكاتب فيستسلم لاستخدامها دون أن يكون لها معنى في ذاتها ، أو تكون بعيدة عما يقصد التعبير عنه . ( هذه الملاحظة نفسها تنطبق - بتوسع أكثر - على قصة فايز محمود التالية كما سنرى . )

\*\*\*

يتخذ فايز محمود من الصراع التقليدي بين الأرض والبحر رمزاً يتكثف فيه الصراع بين العرب وإسرائيل . ويساعده على الربط بين هذين اللوين من الصراع أن جسد فلسطين كله أصبح الآن يتمدد بين البحر ( الأبيض ) من ناحية والنهر ( الأردن ) من الناحية الأخرى ، وأن الغلبة من هذه الجولة الأخيرة كانت للبحر حتى ابتلع الأرض كلها . هذه هي الفكرة المحورية في قصة فايز محمود بمقاطعة السنة ، تتلمسها تلمساً وسط التشبيهاً والاستعارات التشابكية والملتفة والتي لا يفعل كثير منها سوى إضافة مزيد من الغموض إلى البناء التعبيري للقصة . في المقاطع الثلاثة التالية نتتبع دورات في الصراع بين البحر الغربي والأرض . الأرض ملأى بينابيع المياه العذبة لكنها تفيض ، والأرض كلها مهددة بالجفاف ثم الموت .. ولا تجد أمامها سوى الماء المصفى الذي يقدمه لها هذا البحر الغربي ( العدو ) ، وفي أقصى الشرق عالم يصنع سماءه بنفسه ويجعلها تمطر ، ويحفر ينابيعه بنفسه ويجعلها تدفق ، لكنه بعيد وقصي جداً هذا العالم في أقصى الشرق ! ..

والآن ؟ - نصبت الينابيع في الأرض المحترقة ، ودمر البحر العاصف سواحلها ، وبقي الأرض التي انقذت مهددة بالقطط وتخشى هذا البحر الغربي ( لأنه أسطوري القوة .. أم لأنه استطاع أن يحرق الأرض بالفعل ؟ .. ) ، والبحر الميت دبت فيه الحياة .. لأنه يسود أن يقتات بحياة الأرض . تمر الأعوام ويستشري القحط ، والبحر يهدر ماؤه المالح ليفرق ما تبقى من الأرض .. والعالم الذي في أقصى الشرق لبي نداء الأرض العطشى فارتفعت أباره هنا وهناك ..

ثم .. « كان حر حزيان الألهب ، كانفاس الشيطان يصعد تجاه البحر الميت إلى أعلى . وكان البحر يزفر غيظاً » .. وهدرت أمواج البحر الغربي بالشر ، ورويدا رويدا ابتلع البحر الغربي البحر الميت ، وامتدت شواطئه البحر الغربي حتى حفاف الأرض الشرقية العالية حيث كان النهر المقدس سابقاً يحدها من هذا الجانب ..

في هذا المقطع - الخامس - والذي يليه - السادس والآخر - نستطيع أن نضع اليد بوضوح على ما تهدف إليه القصة كلها بعدد الخلط الذي يسود مقاطعها الأربعة الأولى : حين أغرق البحر الغربي في حزيان ما بقي من الأرض جاء وقت نبتت فيه بعض الأشباب ، ثم بدأ سطح الأرض يتفتت ويتشقق تراهبه ، والأرض الصلبة صامدة في جوف البحر الغربي العملاق . « ستظل بعد الآن تلك الأرض المغمورة تمتص ماء البحر ، تمتصه حتى يفقر . وستظل تلك الأرض الكبيرة تعاصره باستمرار حتى لا يطفى أكثر ، وستبقى تجفف شواطئه حتى يتراجع .. أنها المعركة الخالدة الأبدية بين الأرض والبحر .. » .

فرض الكاتب الفكرة مسبقاً : أن هذا الصراع بين العرب وإسرائيل يشبه الصراع بين الأرض والبحر . ثم راح يتابع دورات هذا الصراع بعد أن يدخلها في قالب الصراع بين الأرض والبحر . من هنا جاء القسر في البناء التعبيري للقصة ومحاولة أخضاع رؤية هذا الصراع - الإنساني والحضاري في جوهره - لمقولات الصراع الفيزيقي بين الأرض والبحر ، من هنا أيضاً جاء الخلط ، الأفكار غير المتمثلة فنياً والتي تصب في ترادف للكلمات لا يعني شيئاً . ومن الناحية الأخرى .. فإن رغبة الكاتب في أن يضع مقولات هذا الصراع - الإنساني والحضاري - داخل مقولات الصراع الفيزيقي بين الأرض والبحر قد الجأه إلى أن تميح دلالات الرموز ( أو ما حاول أن يجعله رموزاً ) : ما البحر الميت وماذا يعني ؟ .. وما هذا العالم في أقصى الشرق الذي

يضع سماه بنفسه ويحفر يتابعه بنفسه ؟ .. ونصل معا الى هذه النتيجة : ان الاعشاب مهما قويت يمكن اقتلاعها دائما .. لانها بلا جنود ممتدة في احشاء الارض . والصراع بين الارض والبحر ينتهي دائما لصالح البحر الا حين يتدخل في الصراع طرف هام هو الانسان ونضاله ضد طفيان البحر . ولكن اين هو الانسان في قصة مفروضة سلفا .. تحاول ان تتلهم باخضاع عناصر صراع الانسان من اجل أرضه ووجوده لعناصر صراع بين ارض مستسلمة من ناحية وبحر هاد بالفضب من الناحية الاخرى ؟ ..



القصة الثالثة في هذا العدد هي « المطف » ليويسف الحيدري من العراق .

والمطف في الحقيقة كان للعريف جابر ، الجندي الشجاع الذي حذره رفيقه من ان يرفع جسده اكثر مما يجب داخل الخندق الذي كانوا يحتشون به من رصاص الاعداء ، لكن شجاعته تقلبت على حذره ، وخرقت صدره العريض زخة من رصاص بارد فطرزته بفوهات صغيرة حمراء . ( لا يد ان تكون اوسمة ، فهذا هو التعبير - الكليشيه !.. ) . والقصة يرويها رفيق العريف ، وقد حصل على اجازة بعد « هذه الحادثة التي لا ينساها .. » ، وهو الان يهوم في مقهى خشبي مسور ، يلتمس الدفء من المدفأة الكبيرة التي تتوسط المقهى .. ويتذكر .

كان عليه - بعد ان اصيب عريفه - ان يجرجر جسده الضخم الى خلف التلة الصخرية الصغيرة ، « ومن هناك - وعلى مسافة عشرات الامتار - الى حيث تتناثر خنادق متروكة فارغة رحل عنها الاعداء مذعورين تحت نيران القوات المتقدمة ، من هناك الى اقرب مركز طبي للاسعاف العاجل . عليه اذن ان يقطع مسافة نصف كيلو متر او اكثر قليلا ، معرضا نفسه لوابل القنابل والرصاص الذي لا ينقطع من مواقع العدو . » . وما بقي من القصة هو السباق المحموم بين الجندي الذي يحمل جسد عريفه من ناحية ، والموت الذي يسعى الى هذا الجسد نفسه من الناحية الاخرى . ( راجع : قصة يوسف ادريس « خمس ساعات » ، مجموعة « ارض ليالي » ١٩٥٥ ) . في هذا السباق المحموم انتصر الموت : « اخذ يهز جسد العريف الذي كان قد تحول الان الى لوح بارد ، وكان التزيف الحار قد توقف تماما . ولمس الجسد يمسد مرتعشة . كانت برودة شديدة تسرى فيه .. وكانت عيناه الجاحظتان نصف مغلقتين تحديقان فيه بمرارة وعتاب . كانت النظرات غريبة احتار في تفسيرها .. نظرات لن ينساها ابدا .. لم يعد يطيق احتمال تلك النظرات بعد . وامتدت يده المرتعشة لتتلق بحنان كبير جفنيه الباردتين ، ومسح العرق الغزير الذي يسيل على طول وجهه ويدخل عينيه ليمتزج مع حبات دموعه الساخنة .. » .

لكن هذا الانتصار الذي احرزته الموت في السباق المحموم يلفيه ويشمله انتصار اخر . كان العريف جابر يحتضر ورفيقه الذي يحمله يدمدم دون وعي . « انظر ( الى الاعداء ) كيف يفرعون كالفئران المدعورة تحت قصف مدافعنا الثقيلة .. تأمل يا عريف جابر كيف تنهاسوى ممسكراتهم وكأنها بيوت من القش .. لقد انتصرنا يا عريقي .. هيا منع نظرك من مشهد النصر .. » .

هكذا يتصور الكاتب ان تتحول الخسائر الى ارباح : ان يخسر احساسنا الوطني في مقابل موت البطل . كلنا لسنا بحاجة الى هذا المخدر . فنحن نعرف - ويجب ان يؤكد ادبنا الجديد بعد ١٩٦٧ هذه المعرفة - ان المعركة بحاجة الى قتلى كثيرين ، وعلينا ان نرى موتهم الغالي امرا طبيعيا ومتوقعا ، بل واكثر من ذلك : امرا لا بد منه ان شئنا ان نصل الى انتصار حقيقي في النهاية . اما ان يلعب الادب دور « حلم اليقظة » فشيء لن يكون مقبولا في هذه المرحلة من حياتنا ، وقد وصلنا الى اقتناع كامل بان التهور والتهورين وجهان لحقيقة واحدة : كلاهما يشوه حجم الواقع بعلاقاته الموضوعية التي يجب ان نعيها جيدا كي تثبت خطانا على الطريق .

القصة الرابعة والاخيرة من العراق ايضا : « طعم للفيلم » لفهد

الاسدي .

تدور القصة حول حياة طبقة من الفقراء في احياء جنوب العراق حيث تنمو غابات الهور ( البوص ) . وعلى عمال البواري ان يقطعوها لتحملها المراكب الى بغداد . والحياة قاسية وجممة : قليلون هم الذين يملكون وعلى الباقيين جميعا ان يببوعوا جهودهم من اجل ما يقبم اود الصغار . الحاج عبد الرزاق واحد من هؤلاء الذين يملكون القوارب ، وهو يشتري الهور من العمال بثمن بخس ، لكنه لا ينسى ان يقبم مجلس العزاء في كل سنة عندما تدق الايام العشرة ( من المحرم ) ، وهو يتبرع لمشروع الشتاء ( ببضعة دنائير ) بعد الحاج ، وهو ابدا لا يترك حقه يضيع ، وحكايته مع « جبير » تؤكد هذا :

« كان جبير واحدا اقلعت به الحاجة ، فوفقت سفينته بباب الحاج ، هتف بفل :

ايها الحاج ، اطفالي يجوعون والروءة لا تقبل .

- لماذا لا تشتغل ؟ ..

- ولكن ايها الحاج كيف اشتغل ولا زورق عندي اذهب ببه للهوور ؟ ..

ويصمت الحاج طويلا ثم يرق منه القلب ، فيببوعه زورقا انتزعه من مدين لم يسدد له قبلا ، وتفتح صفحة من دفتر الكبير باسم جبير .. « هـذا الدفتر الذي يقول الناس همسا انه يمئلنيء بالفش ) . وستدور الدائرة على جبير كما دارت على المدين القديم ، فيحجز عليه الحاج وفاء لدينه الذي يزيد ولا ينقص ، فيختفي جبير وعائلته متلففين بالظلام متجهين نحو البصرة ، وتظل الحياة دائرة في صراع قاس بين الذين يملكون والذين لا يملكون لان « الدودة المفكرة المتطورة مضطرة لان تعيش .. » .

واحد من هذه الديدان المفكرة المتطورة قسرر ان ينتقم لجبير . كيف كان انتقامه ؟ .. ولكن .. من هو هذا الذي قرر الانتقام ؟ .. هو « عيبط القرية » ( وفي كل قرية دائما لا بد من عيبط ) ، اسمه طالب ، ويسميه الناس « طويلب » تحقيرا لشأنه وشأن ابيه ، سلخ من عمره سبعة عشر عاما دون ان يفارق الاطفال ، وكان يتلهم بان يصطاد السلاحف والفيلالم ثم يرميها في النهر . « وفي يوم بعد سماعه حكاية جبير رمى صنارتيه فاصطاد غيلمين ، وبطريقه غلمانية قاسية ادخل مسمارين كبيرين في رأسيهما واخرج طرفي المسمارين في وضسع لا يسمح للفيلم بان يدخل رأسه في ترسه .. ثم رماها في النهر . » . لم يكن هذا ( فقط ) هو انتقام طويلب ، فقد انتقم من الحاج انتقاما اخر : دبر له مكاملة تليفونية على لسان موظف كبير يبلفه انه قادم لزيارته .. « ساعتها يطفح وجه الحاج بانفصالات متناقضة ، وتجيء الفرحة مثلومة .. اذ ان الفداء لموظف كبير ليس بالامر الهين وان كان شرفا لا يطمع به الا القليلون .. » ، هكذا يكلف الحاج نفسه مشقة اعداد وليمة كبرى ، وحين تعد المائدة يدخل ابن الحاج ليدعو الضيف الى الفداء فلا يجد في العتبة والرباط سوى طويلب ابن التوتى ! .. تحولت القصة التي كانت جادة في نصفها الاول الى ما يشببه النكتة الفائرة في نصفها الثاني ، وجاء انتقام طويلب لاذلال جبير وطرده انتقاما طبيعيا بالنسبة لجبير .. لكنه انتقام غير مقنع بالنسبة لنا هل لم يكن بوسع « الدودة المفكرة المتطورة » - كما يصف الكاتب الانسان - انتقام غير هذا ، هل توريط الحاج في الاعداد للوليمة هو بمثابة رمي « الطعم للفيلم » ثم وضع المسمار في رأسه ؟ لكنني اعتقد ان ثمة وسائل كثيرة كان يمكن للدودة المفكرة المتطورة ان تلجا اليها ، هذا اذا شاء الكاتب ان يجعل مضمون قصته اكثر جدية وانسانية ، ولم يقع في شرك الطرافة : طرافة شخصية طويلب وطرافة انتقامه . الشيء الايجابي في هذه القصة هو نجاح الكاتب في تصويسر الحياة في تلك المنطقة من جنوب العراق ، وسعي الناس فيها لانتزاع رزقهم - بمشقة وبطولة - من بين الاحراج والمستنقعات ؟

فاروق عبد القادر

القاهرة



## المسرحيات

### بقلم فوزي فهمي

\*\*\*

مسرحية « الطوفان » مؤلفها الدكتور عمر النص تستغرق فصلا واحدا يعرض خلاله موقفا تحملته ثلاث شخصيات حاضرة داخل الحدث وشخصية غائبة تهيمن على جو الموقف كله وتطوره .

فالمسرحية تبدأ باب وأم يجلسان في غرفة بيت قديم ، يتحدثان عن « الطوفان » ، الاب يعلن سامه وعدم احتماله لذلك « الطوفان » الذي استمر عاما وما زال ، اما الام فانها تسائل هل ستعيش حتى تسمى نهاية الطوفان ، ويستند العزف الحواري بينهما فتعلو نغمة اللامان خوفا من ذلك الطوفان ، الذي سبب « اللاب » رطوبة يحس بها تجري في عظامه كلها ، ويرغب في الشفاء منها بعد ان ينحسر هذا الطوفان . لقد قرر الا يذكره وان ينساه ، ولكنه ها هو ينشب اطلاله ، كان قد اغرق نفسه في اجترار ما قد سبق له ان قرأه « جرائد ما قبــــل الطوفان » حفظها وحفرت في ذهنه حفرا ، عاش معها فوجد فيها « ارضا صلبة استطيع ان اقف عليها انها الحقيقة الوحيدة التي لا مفر من القبول بها ، لقد سلينا الطوفان كل شيء . هو اذن يؤمن بتلك الصحف لانه لا بد وان يكون هناك ايمان بشيء والا امسى خائفا في اعماق نفسه ، هذا الاجترار هو محاولة لاستعادة الايمان الذي فقده بفعل الطوفان ، لقد شق عليه ان يبقى قائما في عزلة مصمتة فاذا لكل شيء ، فلقد « غدت الحياة من ذلك الحين شيئا غريبا لقد انقطعت صلتنا بالوجود بالشمس بالدفع بالهواء ، لقد صرنا عبيدا مغلولين الى صخرة لا نعلم متى تنهزم امام الماء فتتحد بنا الى القاع ، نعم لقد صرنا عبيدا ، غير ان العبد لا يفقد الامل من ان يصبح حرا ذات يوم . اما نحن فلا امل لنا من النجاة لا امل لنا » . اذن فهو يلجأ الى الاجترار محاولة للفرار من وعيه الحاد بالمأساة ، انه محاصر بين قطبين لا يمكن له ان يفلت منهما : الماضي المتمثل فيما يقرأه ، والمستقبل بكل توقعاته المستمدة من الواقع الضاري الذي يعيشه ، انهما يحولان دون شيء هام وخطير ، وهو ان يرى نفسه ، ان يتجاوز هذا الموقف الذي يدور فيه ليتدبر امره ويجد الصيغة التي يفتحم بها واقعه ويجتاز ازمته ، لقد ذهب الابن الذي كان له الراء التي يرى بها نفسه ، وعند هذا القدر يبرز تساؤل ذو شقين ، كيف جاء هذا الطوفان ؟ وما علاقة الابن ورحيله بهذا الطوفان ؟ ويتضح من حوار الاب والام انه قد كان بينهما وبين الابن نوع من اللافهم ، ادركاه متأخرا « لم اكن اعلم ان عينيه كانتا اقصى من عيني » . ان بين الجيلين انقسام احدهما « الاب » يمثل للاخر سلطة لها القدرة على التمسك برأيها بحق السيطرة المستمدة من وضعيتها ، والثاني « الابن » يمثل الرغبة النصالية في التحرر من موروثات شكلية عقيمة مستندة في نضالها الى ثقة بقدرتها على رؤية عالمها وايمان اساسه العقل على غير استعداد لقبول الراي الذي شرعنته الوحيدة انه يصدر عن سلطة لا غير ، ان اساس هذا اللافهم بين الجيلين يكمن في انعدام الايمان بإمكانيات الجيل الثاني « الابن » ، ان الاب يقف من الابن موقفا يبدو فيه التسلط والوصاية والرغبة في عدم اتاحة الفرصة لممارسة الوجود الذاتي وتحقيقه ، انه يقتحم عليه حصنه الخاص والذي يملكه وحده ولا احد غيره يتحرك فيه سواه .

قد استطيع الاب ان يساعد ابنه على ان يتحرك ويحبو حتى يمشي ويتكلم ، ولكنه ابدا لا يمكن ان يعلمه كيف يجب وكيف يجد سعاده ، ان ذلك شيء يسكن تحت جلده هو ، يحسه ويدركه بادوانه ولا يستشعره غيره ، ان منظور كل منهما للاشياء مختلف ، ان الاب يقف متحجرا رغم كل محاولات الجدل المر الذي يمكن ان يكون بينهما « لقد ظل يجهد في ارضائه زمنا » - ان الوصاية التي تستند الى وضعيتها وشرعيتها دون المحاولة للمشاركة في الرؤية وبذل الجهد الصادق للتعرف على وجهة نظر الاخر هي التي خلقت هذا التعارض .

من هذا الموقف الذي طرحه المؤلف ليكشف عن الجوى الخائق بين

الاب والابن ، يبدأ في الترشيح للاجابة عن تساؤلنا في محاولة الربط بين الابن والطوفان ، ويرسم صورة تفريرية يحملها حوار الاب والام لما كانت عليه حياتهما مع الابن ويبرز ذلك التعارض باختلاف المنساح النفسي عند كليهما . . كان يحلم احيانا فيخيل اليه ان في مقدوره ان يجعل من ذلك الحلم حقيقة كنت اريد له ان يهبط الى الارض ان يقبل بحدودها ان يخضع لنواميسها ولكن عينيه كانتا معلقتين دوما بنجم لا يراه احد . . لقد كان الابن هو اول من حمل نبا الطوفان قبل ان يحدث « رأى غيمة دكناء تسد الافق . . ليست كالفيمت . . قاتمة مريدة انفجرت فجأة فاذا بقطرات ثقيلة من الطين الاسود تتساقط منها « فاراد للناس ان تجابه الخطر وتستعد له ، انه يملك الرؤية ويحسد بها وايضا العمل الايجابي لدرء الخطر ، القوة الوقائية التي تنفذ المدينة » ان شيئا ما سوف يحدث وشيكا ، لقد ضحك منه فريق وسخر منه فريق اخر ، قلت له ماذا تريد ان تفعل قال نريد ان نبني سدا . . ان المؤلف استخدم مونولوج الاب الذي يروي مسن خلاله قصة التازم بينه وبين الابن استخداما ايعائيا رائعا ، اذ هو يعود بالاحداث السى الوراء ، الى ما قبل الطوفان يستعرض الموقف من الخطر الذي لم يولوه ادنى اعتبار ، رغم المقدمات والاصوات التي ارتفعت منذرة به ، كيف كان الموقف منه ! الاستخفاف بالامر والاقلال من شأنه « ألان غمامة خبيثة مرت لحظة في سمائنا يجب ان يبني سدا ، ان يضع قطرات من الطين الاسود لا يمكن ان تحدث طوفانا » وايضا ادعاء العليم والنظر الى الاشياء من مسار فكر متحجر ثابت ، وكان الاشياء تحكمها شروط لا تملك الاستثناء او التغير « قال احد الحاضرين انه طوف في بلاد الله كلها وقرأ اخبارها فلم يسمع بطوفان تحدته قطرات قليلة » ، وحين انتفض الابن رافضا كل الوان التخائل واللايمان ، وراح يعلن انه سيبنى السد وحده واجهه من ينخر في قواه من لا يريد ان يتحرك وفي ذات الوقت لا يسع لغيره ان يتحرك « قيل له ان يديه ناعمتان صغيرتان لا تقويان على حمل رفقش او رفع صخرة » . هذا السيف ذو الحدود المتنوعة والمصلت على رأسه والسذي لا يؤمن بدعواه هو عينه الذي حكم على المدينة ان تعيش خطرها الداهم وخرابها وعارها .

ان الاب والام لا يستطيعان فعل اي شيء امام الطوفان ، ان عليهما ان ينتظرا نهايته وكلما امتلا الطست بالماء المتساقط من سقف الحجر ، فان عليهما ان يفرغاه ، هو بالطبع تجسيد لذلك الطوفان المهيمن على الموقف كله ، هذا المعجز عن المجابهة وعدم القدرة واللام العديدة التي يفرضها الطوفان في كافة المستويات ، سواء المستوى النفسي « الا ترين الى هذه اللبدان التي تزدرد ايامنا يوما بعد يوم ؟ نظنين بعد هذا كله في امكاننا ان نتابع الحياة كان شيئا لم يكن ! لا . من الافضل لي ان اموت قبــــل ان يراني » ، او المستوى المادي « لم يبق عندنا غير قليل من المؤونة يكفينا شهرا او شهرين » ، « ان قدمي تؤانتي » ، « لقد نفذ الدواء الذي كنت ادلكهما به » . كل هذا العذاب الجاثم فوق صدرهما لم يدفعهما الى البحث عن الخلاص ، كما فعلا من قبل حين راح الاب يقرأ صحف الماضي متشبها مؤمنا بها واعتبرها الارض الصلبة التي يقف عليها ، وحين راحت الام تسج عددا من الصدارات الصوف وتضعها في خزانتها ، لحظتها كانا يعيشان في ظل الاكليل الذي صنعه كل منهما لنفسه ، ولكن الامر الان يختلف ، ان ثقل العذاب وقسوته حطما ذلك العيش في اللحظة او اليوم وجعلهما يستشرقان مستقبلهما ، ان معرفة قيمة الحياة لا يدركها الانسان الا بوعيه لعطيات الحياة والتي شحبت وضولت حين طوقتهما جدران البيت وحرمتها من كل شيء وسلبهما الطوفان الامن والاستقرار والاستمرار في الحياة ، لقد رفض الاب سلواه التي اخترعها ، الظل الذي يعيش فيه من هجير الواقع « لقد سئمت هذه الصحف لقد سئمتها » وطلب من الام ان تترك هي الاخرى الصادر الذي تنسجه « انك تضيعين وقتك عبثا ، لقد انتهى كل شيء » لقد امتد الطوفان حتى غمر كل رقعة ، هل تظنين ان تلك الفتية الضعاف الذين يحاولون بناء سد سوف يفلحون في حصر هذا الطين الملوث ؟ «

باجيال القيادات التي ولدت في رحابه ، اذ ان المسئولية الوطنية ليست وفقا على فئة دون غيرها ، وانه ليست هناك من سلطة دون حدود ، وان الشجاعة ليست اختيالا ولكنها قدرة على بعد النظر والاحتمال .

ان الصياغة الفنية لهذه المسرحية تندرج لاول وهلة تحت نوع المسرحية ذات الفصل الواحد من حيث حجمها وعدد شخصياتها ووحدة موضوعها واطارها المكاني والزمني ، حيث لم يفتل زمامها الى تفرعات غير القيمة الاساسية التي تتناولها ، وحوارها لا يستطرد ويسهب الا ذلك المونولوج الذي يحكي فيه الاب ازمته مع الابن حيث يدفع وفق كم المعلومات التي يطرحها الموقف النفسي الى الامام مطورا اياه ، وفي ذات الوقت كاشفا عن التساؤل الذي يبرز عن علاقة الطوفان بالابن .

ان حجم المسرحية بشير الدهشة ، فهي مركزة للغاية ، ولا تستغرق عرضا أو قراءة الزمن التقليدي للمسرحية ذات الفصل الواحد ، وفي الحقيقة انها ليست بالمثل الفريد لهذا النوع من المسرحيات القصيرة ، فالكتاب الفرنسي سشل دي جلدورد قد كتب عددا من هذا النوع من المسرحيات القصيرة الشديدة التركيز منها « الاسكوريال » و « بي بوتيل » وغيرها ، حيث يطلق على هذا النوع تسمية « لحظة درامية في فصل واحد » وتقع المسرحية في زمن قصير للغاية لا تستغرق قراءتها العشر دقائق ، كما ان الكاتب الانجليزي شمبسون كتب عددا من المسرحيات القصيرة جدا منها « نفخة واحدة ويحدث كل شيء » و « اده » وغيرها ، وقد اطلق على هذا النوع من المسرحيات « اسكتشات » ، والحكم النقدي على مثل هذه الانواع من الكتابة المسرحية لا يطلب محاكاة ما هو تقليدي ، وانما المقياس الوحيد الباقي ، هل استطاعت المسرحية ان تمنح عالما خاصا مكتملا تريا يسمح لمستقبله أو قارئه بالعيشة والمناقشة دون غموض او الغاز ، دون اية احالة الى محمول غير متواجد في تكوين العمل ذاته ليفسر أو يجيب على ما استعصى على الإدراك ، وفي رأبي ان مسرحية « الطوفان » رغم تركيزها الشديد استطاعت ان تجسد فكرتها الاساسية وتسلمها ببساطة ووضوح .

فوزي فهمي

القاهرة

ان الرجل قد اكتشف موقعه تماما من المأساة حين غابت عنه معطيات الحياة « اننا مدانون ، لقد انكرنا اصدقائنا انكرنا ابناءؤنا ، انكرتنا حتى الاشياء التي التصقت بحياتنا . اننا مدانون لقد حكمنا على انفسنا قبل ان يحكم علينا الاخرون » . لم يستطع ان يتحمل المحنة - التي شارك في خلقها - حتى الامل في النجاة منها انطفأ بريقه لديه ولم يعد يحلم سوى بالموت « يخيل الي انك تريد ان تطلي هذا الخيط الممدود الذي يصل بيننا وبين الحياة ، ترى هل تظنين ان هذا الوهم يستطيع ان يمنحنا فرصة اخرى ان يهب لنا عمرا اخر » انه يعلم انه لا محالة ماتت وسط هذه المحنة فقد تماسكه الداخلي واصبح خلوا من القوة الذاتية التي تدفعه للنضال والمجاهدة، وعند هذه الحافة النفسية للاب يدفع المؤلف بشخصية « الصبي » الى الموقف فيعلم تلك الشحنة النفسية المنتهية المتوترة ويستجمعها ليتخلص امام تلك الشخصية التي تشق طريقها الى الموقف ، فاذ به حفيدهما ، ارسلته امه اليهما للزيارة ، وتحرك شخصية « الصبي » ذكرى الابن الراحل وتفترب من التساؤل المطروح بشأن عودته ، فاذ به يكشف عن « الانتظار » الذي تعيشه امه ايضا ، انتظار العودة من الجبال بعد بناء السد الوافي ، ان الصبي « الجيل الثالث » والذي بدخوله انقطع الطوفان ليس ملونا بالطين ، لقد بنى له « الجيل الثاني » سدا واغتسلت المدينة بعد ذلك من الطين ، ان تساؤلنا عن نهاية الطوفان قد اجيب عليه « لقد انقطع الماء » ، « لقد حدث ما كنا يائسين من ان يحدث » .

واضح بالطبع ان المؤلف في صياغته يتجاوز القناع العطي لنا ، من انها اسرة « اب - ام - ابن - حفيد » وانما هو يستخدم هذه العلاقات ليوحى ويرمز من خلال نسج فني رقيق ، يملك الشجاعة والوعي اللازمين للموقف الفكري من القضية التي يتعرض لها ، انه يناقش النكسة السوداء التي حطت على ارضنا الطيبة ، الوصمة الكئيبة في صحائف تاريخنا ، كيف حدثت ؟

ان المؤلف يتخذ من درس النكسة محورا هاما تدور حوله الفكرة الاساسية للمسرحية اي انه يجب علينا ان نتحرك لادراك المشكلات التي تجابهنا وليس بالامكان تجاهلها دون التعرض للكارثة وحتى لا يظل خطرنا محلقا فوق رؤوسنا ، وان على نظامنا السياسي ان يؤمن ويثق

## دار الآداب تقدم

في الموسم الجديد القادم  
مجموعة هامة من الكتب الجديدة

### بين آدم وحواء

للمرحوم الدكتور زكي مبارك

### الشعر الجديد . . . لماذا ؟

تأليف صلاح عبد الصبور

### صحراء التتر

رواية تأليف دينو بوزاتي  
ترجمة خليل الهنداوي و ابراهيم المرجاني

### عن الرجال والبنادق

بقلم غسان كنفاني

## اصول الفكر الماركسي

تأليف اوغست كورنو

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

### صورة الفنان في شبابه

رواية تأليف جيمس جويس

ترجمة ماهر البطوطي

### الشوارع العارية

رواية تأليف فاسكو براتوليني

ترجمة ادوار الخراط

### مختارات من شعر

علي محمود طه

تقديم صلاح عبد الصبور